



الباب الثاني : مفهوم خاتم نبوة محمد

عندما يبعث الله الأولين والآخرين في يوم الدين يكون رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم، بيده لواء الحمد، والأنبياء والمرسلون في ذلك اليوم تحت لوائه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم سيد يوم القيامة، ولا فخر، ويبيدي لوائ الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر" رواه أحمد والترمذي وابن ماجه¹⁹.

وعندما يشتد الكرب بالناس في ذلك اليوم يتشفع الناس الرسل بالعظام ليشفعوا إلى الله ليقضي بين عباده فيتدافعها الرسل، كل واحد يقول اذهبوا إلى غيري حتى إذا أتوا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال: "اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"²⁰.

هذا فضله في ذلك اليوم العظيم، وما ذلك إلا لما حباه الله به من عظيم الصفات، وكريم الأخلاق، والمجاهدة في الله، والقيام بأمره، وقد فضله الله في نفسه ودعوته وأمته بفضائل، فمن ذلك أنه اتخذ خليلاً كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، ففي

¹⁹ صحيح الجامع الصغير (21/2)

²⁰ عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، (كويت: مكتبة الفلاح، 1405 هـ / 1985 م)، ص



الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه وأبو عوانة "إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"²¹، وآتاه القرآن العظيم الذي لم يعط أحد من الأنبياء والرسل مثله: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ { الحجر: 87 }.**

وخصه الله دون غيره بست لم يعطها أحد من الأنبياء قبله، ففي الحديث: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون" رواه مسلم والترمذي²².

يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله فضله على غيره بست، أوتي جوامع الكلم، وذلك بأن يجمع في القول الوجيز المعاني الكثيرة.

ونصر بالرعب، وذلك بما يلقيه الله في قلوب أعدائه من الخوف من رسله وأتباع رسوله صلى الله عليه وسلم. وأحلت له الغنائم، وكانت غنائم من قبلنا من الرسل وأتباعهم تجمع ثم تنزل نار من السماء تحرقها. وجعلت له ولأمته الأرض مسجداً وطهوراً، فحيثما أدركت رجلاً من هذه الأمة الصلاة فيأمكنه أن يتوضأ فإن لم يجد يتيمم، ثم يصلي في مسجد مقام، أو في منزل أو في الصحراء.

²¹ ((أنظر "صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ، شرح الطحاوية، (دمشق: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة" عن مطبوعة المكتب الإسلامي"، 1426هـ - 2005م)، الطبعة المصرية الأولى، ص (175)).
²² صحيح الجامع (21/2).



وأرسل إلى الناس كافة عربهم وعجمهم أبيضهم وأصفرهم وأحمرهم²³، من كان في وقت بعثته ومن يأتي من بعده حتى تقوم الساعة: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا { الأعراف: 158 }.

وأرسله إلى الجن كما أرسله إلى الإنس، وقد رجع وفد الجن بعد استماع القرآن، والإيمان بما نزل من الحق. داعين قومهم إلى الإيمان: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. { الأحقاف: 31 - 32 }.

والفضيلة السادسة أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } "سورة الأحزاب: 40".

وإذا كان رسولنا خاتم الأنبياء فهو خاتم المرسلين، ذلك أن كل رسول فهو نبي لا شك في ذلك، فإذا كانت النبوة بعد نبينا ممنوعة مقطوعة، فالرسالة ممنوعة أيضا، لأن الرسول لا بد أن يكون نبيا.

²³ يزعم (نحرو) في كتابه لمحات من تاريخ العالم أن محمدا مرسل إلى العرب خاصة، وهذا الزعم قال به طوائف من النصراني في القدم والحديث، وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه الجواب الصحيح في الرد على شبهات رجل نصراني، واحدى تلك الشبهات التي أطال شيخ الإسلام في الرد عليها زعم ذلك النصراني أن محمدا مرسل إلى العرب دون سائر الأمم، ويكفي في الرد على هذه الفرية أن نبين لهؤلاء تناقضهم، فإن اقرارهم بكونه نبيا مرسلا يقتضي تصديقه فيما أخبر، وقد أخبر بعثته على الناس كافة، فإذا آمنوا بأنه نبي مرسل، ثم كذبوه، وقالوا: أنت مرسل إلى العرب وحدهم، فقد تناقضوا تناقضا بينا، ووضح أن مرادهم تبرير كفرهم به.



ومعنى كونه خاتم الأنبياء والمرسلين أنه لا يبعث رسول من بعد يغير شرعه²⁴،
ويبطل شيئاً من دينه، أما نزول عيسى آخر الزمان فهو حق وصدق - كما أخبر
المصطفى صلى الله عليه وسلم - ولكنه لا يتزل ليحكم بشريعة التوراة والانجيل، بل
يحكم بالقرآن، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويؤذن بالصلاة.²⁵

الفصل الأول: معنى الختم والنبوة

1. معنى الختم :

أ. الطبع، قال صاحب المحكم: "ختمه، يَخْتَمُه، ختما: طبعه"²⁶. وقد ذكر هذا
صاحب اللسان²⁷ والقاموس المحيط²⁸. وفي تاج العروس: "معنى ختم وطبع
واحد في اللغة"²⁹.

²⁴ ظهر بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من أدياء النبوة، كمسيلمة والأسود العسي وسجاح،
ولايزال يظهر بين الفينة والفينة داعي من أمثال هؤلاء، وقد ظهر في القرآن الماضي على محمد الشيرازي (ولد سنة
1819 م) ولقب بالباب، وأتباعه يدعون البائية، وادعى النبوة حيناً والألوهية حيناً وسار على نهجه تلميذه الذي لقب
(ببهاء الله) وأتباعه يدعون البهائية، ومن هؤلاء الأدياء ميرزا غلام أحمد القادياني، وله اتباع منتشرون في الهند والمانيا
وانكلترا وأمريكا، ولهم فيها مسجد يضلون بها المسلمين، وكانوا يسمون بالقاديانية، وهم يسمون اليوم - أنفسهم
بالأحمدية امعانا في تضليل عباد الله.
وآخر هؤلاء الأدياء رجل ظهر في السودان يدعى أنه نبي وقد تكفل الله فذح كل من ادعى هذه الدعوى
وهتك ستره. {إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون} "سورة يونس/69".

²⁵ عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، (كويت: مكتبة الفلاح، 1405 هـ / 1985 م)، ص
221-222.

²⁶ المحكم لابن سيده (26/5) بتحقيق إبراهيم الأبياري.

²⁷ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1993م) ج2،

ص 163.

²⁸ القاموس المحيط (15/2) بترتيب الزاوي.

²⁹ تاريخ العروس للزبيدي (8/266).



ب. تغطية الشيء والاستيقاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء. قال

صاحب المحكم: "والختم على القلب ألا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنه

طبع. ومعنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيقاق

من أن لا يدخله شيء كما قال عز وجل {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} ³⁰ {31}،

وذكر هذا صاحب اللسان ³² وصاحب تاج العروس ³³.

ت. آخر الشيء أو ختم الشيء ونهايته، قال صاحب المحكم: "وختم الشيء

يختمه: ختما بلغ آخره، وخاتم كل شيء: عاقبته وآخرته، وختام كل مشروب

آخره، وفرض التزويل {خِتَامُهُ مِسْكٌ} ³⁴ {أي آخره، وختام القوم وخاتمهم

آخرهم وفي التزويل {وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} ³⁵ {أي آخرهم} ³⁶.

وقال صاحب المفردات في معرض كلامه عن الصور التي يرد بها لفظ الختم:

"وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل، ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره

إلى أن قال: وخاتم النبيين لأنه ختم النبوة، أي تممها بمجيئه صلى الله عليه

³⁰ الآية (24) من سورة محمد.

³¹ المحكم (5/26).

³² جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1993م) ج2،

ص 163.

³³ تاج العروس (8/266).

³⁴ الآية (26) من سورة المطففين.

³⁵ الآية (40) من سورة الأحزاب.

³⁶ المحكم (5/26).



وسلم³⁷. وقال صاحب القاموس: "والخاتم من كل شيء: عاقبته وآخرتة،
وآخر القوم كالخاتم"³⁸. هذه هي المعاني اللغوية لفعل الختم واسم فاعله خاتم
كما أوردتها أعلام اللغة في مصنفاتهم عن العرب، وهي مع تعددها وتعدد
ألفاظها المعبرة عنها والتي هي: الطبع على الشيء وإنهاؤه وتغطيته وآخر القوم
وعاقبة الأمر، هي مع ذلك كله تتمشى مع دلالة قوله تعالى { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ
أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } على أن النبوة قد طبع
عليها فلا تفتح، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه
آخر الأنبياء وشرعه آخر الشرائع وعاقبتها"³⁹.

2. معنى النبوة

تقدم معرفة معنى الخاتم في اللغة، وتقدم أيضا معرفة معنى النبوة في هذا الفصل.
فإذا ما ركبا في جملة واحدة هي "خاتم النبوة" فإنه يكون معناها "انتهاء إنباء الله للناس
وانقطاع وحي السماء"⁴⁰.

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبى):

- فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر؛

³⁷ المفردات (ص 142-143).

³⁸ القاموس (2/ 15) بترتيب الزاوى.

³⁹ أحمد بن سعد الغامدي، كتاب عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، (دار النشر: طبعة دار طبية - الرياض، 1403

هـ/ 1983 م)، ص 13.

⁴⁰ نفس المرجع، ص 16.



- وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفع والعلو، لأن

النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع؛

- أما إذا كانت مأخوذة من (الني) بدون همز، فيكون معناها الطريق إلى الله عز

وجل لأن معنى "الني" الطريق.

قال العلامة الطباطبائي - قدس سره - "والني على وزن فعيل مأخوذ من النبأ،

سمي به النبي، لأنه عنده نبأ الغيب، بوحى من الله، وقيل: هو مأخوذ من النبوة بمعنى

الرفع سمي به لرفع قدره".⁴¹

عرفه أهل الكلام بأنه الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر. قال

في شرح الباب الحادي عشر: "فبقيد الإنسان يخرج الملك، وبقيد المخبر عن الله يخرج

المخبر عن غيره، وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الإمام والعالم فإنهما مخبران عن الله

تعالى بواسطة النبي".⁴²

وبناء على هذا فالنبوة الشرعية هي إعلام الله تعالى من اجتبى من الناس لرفعته،

والإعلاء من شأنه بإنبائه بالوحي الذي أراد له أو له لغيره.

⁴¹ السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن (القاهرة: منشورات مؤسسة العلم للمطبوعات، 1535 م) الطبعة الأولى المحققة، ج 14 ص 58.

⁴² كمال الدين ميشم البحراني، قواعد المرام في علم الكلام، (دمشق: منشورات مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، 1987 م)، الطبعة: الثانية، ص 122.



والأنبياء جمع نبي ويمد مهموزا فيقال نبيء كما هي قراءة ورش عن نافع في جميع القرآن أو غالبه، وهو عائد إلى الإشتقاق الأول الذي تقدم في كلمة النبوة. والنبي: ذكر من بني آدم، أوحى الله تعالى إليه بأمر، فإن أمر بتبليغه إلى الناس فهو نبي ورسول، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي غير رسول وبهذا يظهر الفرق بين كل من النبي والرسول، وهو أن الرسول من أمر بإبلاغ ما أوحى إليه، والنبي من أوحى إليه بشيء ولم يؤمر بإبلاغه لاختصاصه به دون غيره من الناس، وعليه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. ومثال النبي غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام، فقد نبأه الله تعالى، وحلف موسى وهارون في بني إسرائيل وهو الذي غزا بيت المقدس وفتحها الله تعالى عليه.

ومثال النبي الرسول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو نبي الله ورسوله إلى الناس أجمعين، وكذا سائر الأنبياء والمرسلين المذكورين في القرآن الكريم كما سنقف عليه إن شاء الله تعالى في بحث هذا الركن من أركان عقيدة المؤمن.

صفات الأنبياء:

إن للمؤهلين لحمل رسالة الخالق إلى الخلق صفات كمال لا تفقد في أحدهم أبدا إذ هي واجبة لكل من يحمل رسالة الله تعالى إلى عباده، ومن تلك الصفات:



1. **الصدق:** صدق النية، والإرادة، صدق القول، والعمل بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بصدق وهو الكذب، والنفاق أو الإهمال، واللامبالاة، والمتبع لسير الأنبياء يعرف هذه الحقيقة ويؤمن بها.
2. **الأمانة:** الأمانة في كل شيء في القول والعمل، في الحكم والقضاء في الحديث والنقل، في الرواية والتبليغ، في السر والعلن معا، إذ يستحيل أن يتصفوا بصدقها وهي الخيانة بحال من الأحوال، فلا خيانة فيهم أبدا، ولو في أقل الأشياء وتفهمها، ومتمى وجد شيء من الخيانة فلا نبوة ولا أهلية لها أبدا.
3. **التبليغ:** والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئا ولا يكتمه بحال من الأحوال. فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضا مما أوحى إليه وأمر بإبلاغه إلى الناس، والكتمان للوحي الإلهي يتعذر على المرسلين ويستحيل في حقهم ولا يتأتى لهم، لأن الله تعالى أهلهم للبلاغ عنه ما أراه لعباده من الهدى والخير. فتمت وجد الكتمان بطلت النبوة، وانتفت الرسالة.
4. **الفطنة:** إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فحسب، بل هي مع ذلك رقة الشعور، وصفاء الذهن، ورفاهة الحس والصدق، وسرعة البدهة. على حد قول حسان ابن ثابت في النبي محمد صلى الله عليه وسلم.



لو لم يكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تأتيك بالخبر
إذ الفطنة من المؤهلات لتلقي الوحي، والأمانة عليه، فالغباء وبلادة الحس،
وبطء الإدراك تتنافى مع مقام النبوة وشرف التلقي عن الله تعالى، وسوف نكشف عن
هه المؤهلات ونجلي الكثير من معانيها إن شاء الله تعالى عند الحديث عن خاتم الأنبياء
محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو المقصود بهذه الدراسات كلها، وذلك لوجود
رسالته قائمة بين أيدي الناس، ولحاجة الناس إليها.⁴³

3. معنى خاتم النبوة

عقيدة إسلامية بأن محمدا هو آخر الأنبياء وخاتم النبيين، وأن الدين به قد
أكمل وأن رسالة الإسلام هي الرسالة الأخيرة الخاتمة. خاتم النبيين أي آخرهم فلا
نبي بعده، وقرئ بكسر التاء. بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم أي آخر، وبالفتح بأنهم
ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم.

من علامات النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في الكتب القديمة لدى أهل
الكتاب أن بين كتفيه خاتم النبوة، وقد جاء في الأحاديث الشريفة الصحيحة وصف
لهذا الخاتم، فمنها: ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن سمره رضي الله عنه قال: (رَأَيْتُ

⁴³ عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، (كويت: مكتبة الفلاح، 1405 هـ / 1985 م)، ص



خَاتِمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ). قَالَ النَّوَوِيُّ فِي
شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (قَالَ الْقَاضِي: وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ عَلَى أَنَّهَا شَاحِصَةٌ
فِي جَسَدِهِ قَدْرَ بَيْضَةِ الْحَمَامِ).⁴⁴

وَمِنْ هَذَا يُظْهِرُ أَنَّ خَاتِمَ النَّبُوَّةِ هُوَ مِثْلُ الشَّامَةِ الْكَبِيرَةِ كَانَتْ فِي ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبَةً مِنْ أَكْتَافِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ لَوْنُهَا لَوْنُ الْجِلْدِ لَكِنَّا بَارِزَةٌ حَتَّى ظَنَّ
بَعْضُ الْأَطْبَاءِ أَنَّهَا غَدَةٌ وَعَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَأْصِلَهَا، فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا)⁴⁵، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامَ إِبْقَاءَهَا؛ لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ كَانَتْ يَعْرِفُهَا بِهَا وَبِغَيْرِهَا أَهْلُ الْكِتَابِ.

أَمَّا خَاتِمَةُ الشَّرِيفِ الَّذِي كَانَتْ يَلْبَسُهُ فَهِيَ غَيْرُ الْخَاتِمِ الَّذِي بَيْنَ كَتْفَيْهِ، وَكَانَ
مَنْقُوشًا عَلَى الْخَاتِمِ الَّذِي يَلْبَسُهُ فِي يَدِهِ الشَّرِيفَةِ "مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ"، كُلُّ كَلِمَةٍ فِي سَطْرٍ
وَكَانَ يُخْتَمُ بِهِ رِسَائِلُهُ الَّتِي يَرْسَلُهَا لِلْمَلُوكِ وَغَيْرِهِمْ.⁴⁶

الفصل الثاني : خاتم نبوة محمد عند المفسرين

خاتم نبوة محمد في القرآن، سورة الأحزاب آية 40 :

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَئِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

⁴⁴ شرح صحيح مسلم، 99/15.

⁴⁵ مسند الإمام أحمد، من باب حديث رمثة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (680 / 11).

⁴⁶ الشيخ نوح علي سلمان، فتاوى العقيدة / فتوى رقم/28.



معنى المفردات

{ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم } أي لم يكن أبا لزيد ولا لغيره من الرجال إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار. { خاتم النبيين } ختمت به النبوة وتمت بمجيئه أو أي لم يجيء نبي بعده إذ لو جاء نبي بعده لكان ولده أهلا للنبوة كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلاً.

عند أبو بكر الجزائري، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقصن عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم) ولكن رسول الله (وكل رسول أبو امته لا مطلقا بل من حيث انه شقيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ) رسول الله (من عرفتم انه يعيش له ولد ذكر) وخاتم النبيين (وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال (صلى الله عليه وسلم) في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدر في نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دنيه مع أن المراد منه انه آخر من نبي) وكان الله بكل شيء عليما (فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه.⁴⁷

⁴⁷ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير الجزائري لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1415 هـ - 1994 م) المجلد الرابعة ص 274.



إذن، الخلاصة من هذا البيان يعني تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

عند ابن كثير، هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.⁴⁸

عند إمام القرطبي، قال ابن عطية هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نفا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.⁴⁹

عند محمود الألوسي، وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعى خلافه ويقتل إن أصر.⁵⁰

الفصل الثالث : خاتم نبوة محمد في الحديث

لقد ختم الله سبحانه وتعالى النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى
{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } وقال صلى

⁴⁸ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير ابن كثير (دمشق: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م)، ص 493 ج 3.

⁴⁹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (قاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964 م)، ص 196 ج 14.

⁵⁰ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ)، ص 41 ج 22.



الله عليه وسلم : (أنا خاتم النبيين؛ لا نبي بعدي) وذلك يستلزم ختم المرسلين؛ إذ ختم الأعم يستلزم ختم الأخص، ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته. وأما نزول عيسى في آخر الزمان؛ فلا ينافي ذلك؛ لأن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة؛ لأنها منسوخة، فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولاً وفروعاً، فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم، وحاكماً من حكام ملته بين أمته.⁵¹

فهذا النبي الخاتم للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد بعث بخير كتاب وأتم شريعة وأفضل ملة وأكمل دين جاء بشريعة كافية لحاجة الخليقة في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة وكمل به عقد النبيين فلا نبي بعده، وفي " الصحيحين " وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : (أن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه؛ فجعل الناس يدخلون ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة) . زاد مسلم : "فجئت فختمت الأنبياء" وفي " الصحيحين " أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه معناه، وفيه : (فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).

⁵¹ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (الرياض: المملكة العربية السعودية، 1412 هـ)، ج 1 ص 186.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون⁵². وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة⁵³. عن سعد ابن وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمتزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي⁵⁴. وفي رواية المسلم أنه لا نبوة بعدي⁵⁵. إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها⁵⁶. عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيكون في أمي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي⁵⁷. عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي⁵⁸. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث⁵⁹. عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله

⁵² صحيح مسلم من كتاب المساجد ومواضع الصلاة (371/1).

⁵³ مشكاة ص 512.

⁵⁴ صحيح بخاري ص 633 ج 2.

⁵⁵ صحيح مسلم ص 278 ج 2.

⁵⁶ أبو داود ص 233 ج 2.

⁵⁷ أبو داود ص 288 ج 2 واللفظ له الترمذي ص 45 ج 2.

⁵⁸ ترمذي ص 51 ج 2، مسند أحمد ص 267 ج 3.

⁵⁹ كثر العمال ص 452 ج 2، حديث 32126.



عليه وسلم إني عند الله في أول الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته⁶⁰. عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء⁶¹. عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر⁶². عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا محمد النبي الأمي ثلاث مرات ولا نبي بعدي⁶³. عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لما خلق الله عز وجل آدم خبره بنيه فجعل يري فضائل بعضهم على بعض فرأى نورا ساطعا في أسفلهم فقال يا رب: من هذا؟ قال هذا ابنك أحمد هو الأول وهو الآخر وهو أول شافع ومشفع⁶⁴. لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم⁶⁵. إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة، فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده، نسب الحشر، لأنه يقع عقبه⁶⁶. أنا أحمد ومحمد والحاشر

⁶⁰ مجمع الزوائد ص 223 ج 8، مسند أحمد ص 127 ج 4، مستدرک الحاكم ص 600 ج 2 واللفظ له، كتر العمال ج 2 حديث 32114/31960 واللفظ له.

⁶¹ صحيح البخاري ص 685 ج 2.

⁶² سنن الدارمي ص 31 ج 1، كتر العمال ص 404 ج 2، حديث 31883.

⁶³ مسند أحمد ص 172، 212 ج 2.

⁶⁴ كتر العمال ص 437 ج 2 حديث 32056.

⁶⁵ مجمع الزوائد ص 273 ج 3، كتر العمال ص 947 ج 15، حديث 43638.

⁶⁶ فتح الباري ص 557 ج 6.



والمقفى والخاتم⁶⁷. التشبيه في المقارنة بينهما، أي ليس بينهما إصبع أخرى كما أنه لا
نبي بينه صلى الله عليه وسلم وبين الساعة⁶⁸.

وقال صلى الله عليه وسلم: (عن أبي هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كانت بنوا إسرائيل تسؤسهم الأنبياء كلما هلك نبي وأنه لا نبي بعدي
وسيكون خلفاء فيكثرون⁶⁹) ، وعن جابر بن سمرة؛ قال: " رأيت خاتما في ظهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام ". رواه مسلم. قال الحافظ في "
الفتح " : " قال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزا
أحمر عند كتفه الأيسر قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد⁷⁰ ، والله
أعلم.

قال العلماء : السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة ، قال السهيلي : وضع
خاتم النبوة عند كتفه صلى الله عليه وسلم لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك
الموضع يدخل منه الشيطان، وقال الحافظ ابن كثير : فمن رحمة الله تعالى بالعباد
إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به
وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه

⁶⁷ مجمع الزوائد ص 284 ج 8.

⁶⁸ حاشية سندهي رحمة الله عليه شرح النسائي ص 234 ج 1.

⁶⁹ صحيح بخاري ص 491 ج 1 واللفظ له، صحيح مسلم ص 126 ج 2، مسند أحمد 297 ج 2.

⁷⁰ يعني مقدار جمع اليد



وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل، ولو تخرف وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب؛ كما أجرى الله تعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة، حتى يختموا بالمسيح الدجال؛ فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه؛ فإنهم بضرورة الواقع - أي الكذابين - لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهاون عن منكر إلا على سبيل الاتقاء، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكونون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم؛ كما قال تعالى: { هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينَ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ }، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإنهم في غاية الصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرؤن به وينهاون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات؛ فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسماوات .



وليس الناس بحاجة إلى بعثة نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكمال شريعته
ووفائها بحاجة البشرية . وماذا عسى أن يقتضي بعثة نبي جديد بعد محمد صلى الله
عليه وسلم، وإن قيل : إن الأمة قد فسدت؛ فالعمل على إصلاحها يحتاج إلى بعثة نبي
جديد، قلنا : هل بعث نبي في الدنيا لمجرد الإصلاح حتى يبعث في هذا الزمان لمجرد هذا
الغرض.

إن النبي لا يبعث إلا ليوحى إليه، ولا تكون الحاجة إلى الوحي إلا لتبليغ
رسالة جديدة أو إكمال رسالة متقدمة أو لتطهيرها من شوائب التحريف والتبديل،
فلما قضت كل هذه الحاجات إلى الوحي بحفظ القرآن وسنة محمد صلى الله عليه
وسلم وإكمال الدين على يده صلى الله عليه وسلم فلم تبق الحاجة الآن إلى الأنبياء،
وإنما هي إلى المصلحين. اهـ . بتصريف يسير من الرد على القاديانية.

وقد أعلن الله ختم النبوات والرسالات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في
قوله : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ
اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } .

ومن البدهي الذي لا يقبل الاعتراض أن استمرار بقاء القرآن الحاوي بشرائعه
وأحكامه أسس مطالب البشر التشريعية كلها محفوظا كما أنزل على محمد مع
استمرار بقاء سيرة الرسول وسنته المبينة لمعاني القرآن صحيحة ثابتة - هو بمثابة



استمرار وجود الرسول فينا على قيد الحياة؛ قال تعالى : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } ، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرد إلى سنته، وبذلك فقد أصبح العالم بغنية عن بعث أنبياء، وإرسال رسل، وتحديد شرائع للناس بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنه لو بعث الله رسلاً وأنبياء فلن يحدثوا شيئاً ولن يزيدوا على ما جاء به الرسول محمد من أسس في العقيدة أو في التشريع؛ فقد أكمل الله الدين وأتم الشريعة حيث يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } ، وإن كان الغرض من إرسال الرسل هو نشر هذه الرسالة ودعوة الناس إليها؛ فهذه وظيفة علماء المسلمين فعليهم أن يقوموا بتبليغ هذه الدعوة للناس .

فمن ادعى عدم ختم النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، أو صدق من يدعي ذلك؛ فهو مرتد عن دين الإسلام ولهذا حكم الصحابة على من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم بالردة، وقتلوه هو وأتباعه، وسموهم بالمرتدين، وهذا ما أجمع عليه علماء المسلمين سلفاً وخلفاً.⁷¹

⁷¹ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (الرياض: المملكة العربية السعودية، 1412 هـ)، ج 1 ص 187 - 189.